أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن الله عز وجل قد خلقنا لغاية عظيمة جليلة، لم يخلقنا لغيرها؛ ألا وهي عبادته سبحانه وتعالى؛ قال الله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**} وإن من أهم وأعظم العبادات هو الدعاء؛ قال الله تعالى: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**} وقال تعالى: {**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**} وقال تعالى: {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**}.

وقال صلى الله عليه وسلم: {الدعاء هو العبادة} رواه أبو داود.

وقال عليه الصلاة والسلام: {ليس شيءٌ أكرمُ على الله سبحانه من الدعاء} رواه ابن ماجة، وحسَّنه الألباني.

وكفى بهذا دلالةً على شأن الدعاء وكرمه عند الله.

ونصوص كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المبينة لمكانة الدعاء وعظيم شأنه كثيرةٌ جداً، وهذا مما يبين لنا قدر الدعاء في الإسلام، وأنه عبادة عظيمة وحبيبة إلى الله.

وما من مسلم إلا وهو يدعو ربه -عز وجل- كشف الضر عنه وجلب النفع له، مؤمنا بأن الله هو وحده المستحق للعبادة، هو وحده المجيب للدعاء، هو وحده الذي بيده النفع والضر، مالك السماوات والأراضين، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، وما نحن إلا عبيد لهذا الرب العظيم، الرب الرحيم الحكيم؛ الذي له الحكمة البالغة في كل ما يقدر ويختار، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وما علينا إلا أن نسلم الأمر لمولانا وسيدنا وخالقنا تبارك وتعالى .

لكن البعض من الناس - هداهم الله- إذا دعوا الله -عز وجل- فلم يحصلوا على مطلوبهم، حملهم ذلك على ترك الدعاء، استعجالاً منهم للإجابة !! ولو صبروا لكان خيراً لهم.

فلو أنهم تأملوا قول الله تعالى: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**} ما تركوا الدعاء؛ فإن في هذه الآية العظيمة وعدٌ من الله -عز وجل- بالإجابة، وعدٌ من خالقك ومولاك {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**} يعدك الله بالإجابة إذا دعوته.

وإنا لنسأل من ترك الدعاء زاعماً عدم الإجابة: هل تأملت قوله تعالى: {**ادْعُونِي**} ؟!! وهل أنت تعلم كيف يدعى الرب؟!! هل أنت تدعو الله كما يحب؟ أم أنك تدعو كما تشاءُ أنت وترغب!

إن الدعاء عبادة، وهو أشرف عبادة، فإن الإنسان إذا دعا ربه فإنه معترف لنفسه بالقصور ولربه بالكمال، ولهذا توجَّه إلى ربه سبحانه بالدعاء، وهذا تعظيمٌ لله -عز وجل- وتعظيم الله تعالى عبادة.

وإن للدعاء شروطاً وآداباً من أداها على وفق الشرع عالماً وعاملاً بقوله تعالى: {**ادْعُونِي**} نال بعد ذلك - ولا محالة ولا شك- وعد الله تعالى: {**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**}.

فما هي شروط الدعاء ؟

◊ إن أول شرط في أي عبادة يتعبد بها العبد لله -عز وجل- هو إخلاص العبادة لله عز وجل؛ فإنه وحده المستحق للعبادة سبحانه.

فإن أهم شرط للدعاء هو الإخلاص لله - عز وجل- قال الله تعالى: {**فَادْعُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**} فالدعاء عبادة لا تُصرَف إلا لله، فلا يُسأل إلا الله ولا يستعان إلا بالله، ولا يُطلَب العون والمدد والتوفيق والسداد إلا من الله، لا يُطلب شيء من ذلك لا من ملك مقرب ولا من نبي مرسَل ولا من ولي ولا من غيره، والكل عبيد له سبحانه، فالدعاء عبادة لا يُلتجأ فيها إلا إلى الله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس: {إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك} رواه الترمذي، وصححه الألباني.

فإن حقيقة الدعاء أن يكون الإنسان بدعائه لله - عز وجل- مستشعراً فقره إلى ربه، وغنى ربه عنه، مستشعراً قرب الله تعالى عند الدعاء، مستشعراً إجابة الله للدعاء، قال الله تعالى: {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**} فالله في العلو فوق سبع سماوات، لكنه قريب منك يعلم سرك وجهرك مجيب لدعائك.

فيجب على الداعي أن يدعو ربه بإخلاص وصدق وخشوع، وإفتقارٍ إليه سبحانه، وأن يستشعر في نفسه عظم من يدعو؛ فإنه يدعو الله رب العالمين.

● فالدعاء هو إقبالٌ بالقلب على الله -عز وجل- وإقبال باللسان بالمناجاة؛ فلا تجعل دعائك مجرد كلمات تقال، ومن اللطائف التي تُذكر ما رواه ابن أبي الدنيا في كتابه: ((النية والإخلاص))

قال:" مر عمر بن عبد العزيز برجل جالس وفي يده حصى يحرِّكه بيده ويلعب به، وهو يلعب بالحصى كان يقول: اللهم إني أسألك من الحور العين!!! فقال له عمر بن عبد العزيز: ما هذا شأن الخاطب، ألقي الحصى وأخلص الدعاء".

إذا كنت تريد الحور العين ما تلعب وتكون غافلاً، ولسانك فقط الذي يتحرك بالدعاء! فبعض الناس يمد يديه في دعائه وتجده يتلفت يمينَ يسار وقلبه لاهٍ عن الدعاء! فأي إجابةٍ لدعائه يرجو!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: {واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه}. رواه الترمذي، وصححه الألباني.

ومن تأمل قوله عليه الصلاة والسلام:{لا يستجيب دعاء من **قلب**} علم أن الشأن في إجابة الدعاء هو حضور القلب، وأن من دعا ربه لاهياً ساهياً فلن يستجاب دعائه.

فلهذا ينبغي مجاهدة النفس على حضور القلب عند الدعاء.

◊ أما الشرط الثاني من شروط الدعاء فهو اليقين بالإجابة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة} رواه الترمذي، وصححه الألباني.

فلا تدعو وأنت شاك هل يستجيب الله دعائك أو لا يستجيب!! بل ادعو ربك متيقِّناً واثقاً بأن الله يجيب دعوتك، كن حسن الظن بالله، فلا مجال أبداً للشك في قلب المؤمن؛ وهل يكون للشك في القلب مكان إذا علمنا أن الله وعدنا بإجابة دعائنا؟!! قال تعالى:{**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**}.

فعلى الداعي أن يدعو ربه مطمئن القلب متوكلاً على ربه حسن الظن بمولاه؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام:{إن ربكم حَيِيٌّ كريم؛ يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً خائبتين} رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

فتأمل الكرم والجود والعطاء والمن والفضل، مع أنه غنيٌّ عن دعائك إلا أنه يحب ذلك منك، ومن كمال جود الرب وكمال فضله أنه يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه إن يخيِّب رجائه.
فمن دعا ربه بإخلاص وصدق ويقين فإنه لا يخيب أبداً.

قال عمر بن الخطاب:" أني لا أحمل هَمَّ الإجابة، وإنما هم الدعاء فإذا أُلهِمت الدعاء علمت أن الإجابة معه ". فهو على يقين أنه متى دعا ربه كما يحب سبحانه فإن دعائه قد استجيب لا محالة .
وهذه عقيدة يجب على كل مسلم أن يعلمها، وينشرح بها صدره.

◊ الشرط الثالث: طيب المأكل والمشرب والملبس والمسكن:

بأن يكون العبد مأكله ومشربه طيباً حلالاً؛ فإنَّ أكْل الحرام من أقوى موانع الإجابة؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام:{إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:{**يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً**} وقال تعالى:{**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**} ثم ذكر النبي عليه الصلاة والسلام الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنَّى يستجاب له} رواه مسلم.

فاستبعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستجيب الله دعاء آكل الحرام المتغذي به اللابس له، مع أنه قد أتى بأسباب إجابة الدعاء فهو: {**يطيل** السفر} ودعاء المسافر مستجاب، كما أنه {أشعث أغبر} فهو لا يهتم بنفسه؛ أهم شيء عنده الدعاء، {يمد يديه إلى السماء} ومد اليدين إلى السماء من أسباب إجابة الدعاء {يا رب يا رب} وهذا وسيلة لإجابة الدعاء، ومع هذا كله رد الله دعائه.

فالحرام مانعٌ لإجابة الدعاء، ولو عُمل من أسباب الإجابة ما عُمل

قال أحد أهل العلم:" كيف تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالذنوب" !!. وسواء كان هذا الحرام حصل بالغش، أو الكذب أو الربا، أو الظلم.. أو غير ذلك.

◊ الشرط الرابع: أن لا يكون في الدعاء إثم أو قطيعة رحم:

قال صلى الله عليه وسلم:{ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدعو بمأثم أو قطيعة رحم} . رواه الترمذي، وصححه الألباني.
كقول القائل وهو يدعو على قريب له: "اللهم لا تقرب بيني وبينه أبدا" . أو يقول: "اللهم ابتله بالفاحشة".!!

◊ ومن الشروط عدم الاعتداء في الدعاء:

قال الله تعالى:{**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**} كأن يسأل ربه شيئاً لا يحل شرعاً أو قدراً، ومن ذلك قول القائل: "اللهم إني أسألك منزلة في الجنة لا يبلغها أحدٌ من خلقك" !! يريد أن يكون فوق النبيين والمرسلين!!!

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتداء في الدعاء؛ فقد سمع سعد ابن أبي وقاص –رضي الله عنه– ابناً له يدعو، يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الجنة وحورها وغلمانها وأنهارها

وأشجارها، اللهم إني أعوذ بك من النار وحميمها وغسَّاقها وسلاسلها!! فقال له يا بني: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطَهور والدعاء} فاحذر أن تكون منهم. إذا سألت الله الجنة أُعطيتها وما فيها، وإذا سألته النجاة من النار سلمت منها وما فيها.

وقد روى هذا الحديث أبو داود في سننه، وصححه الألباني.

ولهذا يجب على المسلم أن يحذر أن يكون ممن يعتدي في دعائه.

◈ السادس: عدم العجلة في استجابة الدعاء:

بل ادعُ واصبر، والله يُحْكِم أمره ويَحْكُمُ ما يريد، لا تستعجل.

قال عليه الصلاة والسلام:{لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل} قيل يا رسول الله: وما الاستعجال؟ قال:{يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أَرَ يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء} رواه مسلم.

● فإذا تعجَّل العبد الإجابة من مولاه فإنه لا يستجاب له:

فإذا قال دعوت فلم يُستجب لي فإنه سوف يستحسر ويترك الدعاء ! وحينئذ لا يحصل له مطلوبه، وهذا يقع كثيراً من بعض الناس، وهذا خطأ كبير؛ فإنه حرمان من الإجابة، ومن حيل الشيطان ليصدك عن دعاء ربك فيوقعك ذلك في سوء الظن بالله -والعياذ بالله- بل الإنسان يدعو ربه ويدعوه ويدعوه؛ فربما تكون عدم سرعة الإجابة من نعمة الله عليك من أجل أن تكثر من الدعاء، فإن الدعاء حبيب إلى الله؛ يحب أن يسمع من عباده مناداته وطلبه وسؤاله، بل يحب منهم الإلحاح فيه.

● فألِحَّ أيها العبد في الدعاء؛ فإن الله يحب الملحِّين في الدعاء

يقول الله:{**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وخُفْيَةً**} {**تَضَرُّعاً**}: وهذا فيه الإلحاح وكثرة السؤال ودوام الطلب وعدم الاستعجال.

{**وخُفْيَةً**}: فالله -سبحانه وتعالى- يحب أن يكون دعاء عباده بينه وبينهم خُفيةً ومناجاة.

وإن الله قد يمنع الإجابة للعبد من أجل أن يزداد في دعاء ربه وافتقاره إليه، وأيضاً يكون امتحاناً للعبد؛ هل يستمر في دعائه لله أو يستحسر فيمتنع، وكلما أكثرت من الدعاء ازددت رفعةً عند الله؛ وفي النهاية سوف يستجيب الله لك.

قال ﷺ:{من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب **فلْيُكثر** الدعاء في الرخاء} رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

وهنا السؤال المهم :

ما المراد بالاستجابة في قوله تعالى:{**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**} ؟!!

هل المراد أن يحصل الداعي على ما طلبه بعينه فإن لم يحصل عليه عدَّ دعائه مردوداً عليه ! أم أن الأمر ليس كذلك؟

وقبل الجواب عن معنى:{**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**} أظنكم قد علمتم معنى قوله تعالى:{**ادْعُونِي**} وأن للدعاء شروطاً يجب إتباعها؛ لتنال وعد الله:{**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**}وتجد ذلك جلياً إذا تأملت خاتمة هذه الآية:{**وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**} أي: أحسن في دعائك، أحسن في سؤالك، أحسن في طلبك اعتني بالضوابط والشروط والآداب، أحسن تجد أثر إحسانك رحمةً وعطاءً وقَبولاً عند الله.

أما الإجابة على السؤال فقد تكفَّل بها نبينا صلى الله عليه وسلم

قال صلى الله عليه وسلم:{ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها}.

رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

وفي هذا الحديث بشرى عظيمة للمسلم أن الله لا يخيب رجاء عبده إذا دعاه، فإذا دعوت ربك كما يريد فاعلم وتيقَّن أن دعوتك قد استجيبت.

فإن دعوتك لن تُخطئ إحدى ثلاث:

- إما أن يعجِّل الله لك دعوتك في الدنيا بفضله وكرمه.
- وإما أن يكُفَّ الله عنك من السوء ما هو أعظم من النفع الحاصل بطلبك، ومن ذلك أن يكون هذا المطلوب إن حصل للإنسان لكان له به فتنة، وهذا من رحمة الله بك، ومن حكمته البالغة؛ فالله حكيم عليم؛ يعلم ما سيكون أثراً لهذا الدعاء لو عجَّل الله به في الدنيا، فلما علم سبحانه وتعالى أنه لو عجل دعوة عبده لكان في ذلك ضرر على العبد صرف عنه من السوء بمثل دعائه أو أكثر، فيجب علينا أن نرضى بقضاء الله وقدره، بل أن نفرح به؛ فإن هذا القدر تنزيل من حكيم عليم رحيم؛ قال تعالى: {**فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْـئاً وَيَـجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَـيْراً كَثِيرًا**} فَطِبْ بهذا نفساً، واشرح به صدراً؛ فإن أمر المؤمن كله خير، وكن مؤمناً بقدر ربك راضياً به، وكن على يقين من أن الله قد استجاب دعوتك بصرفه عنك السوء.

✖ أما الخصلة الثالثة والأخيرة: فهي أن يدَّخر الله لك دعوتك ليوم القيامة، وهذه -والله- لهي أعظم الخصال، أن يجعل الله لك دعوتك التي أردتها في هذه الدنيا أن يجعلها لك في الأخرى، ولَكَم يتمنى المسلم يوم القيامة أن لو ادَّخر الله له كل دعوَاته، و لم يعجِّل له دعوةً للدنيا.

وبذلك نعلم أن ربنا الرحيم الكريم يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ولا يرد مؤمناً ناجاه {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**} {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**} ويقول تعالى: {**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ**}. سميع: أي مجيب.

• **فإذا علمت ذلك فإياك ثم إياك أن تترك دعاء ربك**

فإنَّ ترك الدعاء فيه نوع من الاستكبار؛ ولعلكم لاحظتم هذا المعنى في قوله تعالى: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**}.

{**عَنْ عِبَادَتِي**} أي عن دعائي {**دَاخِرِينَ**} أي صاغرين.

فكيف تستكبر عن دعاء ربك وحاجتك إليه أعظم حاجة !!!

فالعبد فقير فقر دائم إلى الله من كل وجه، لا غنى له عن ربه طرفة عين، فقير إلى الله في طعامه، فقير إلى الله في شرابه، فقير إلى الله في لباسه، فقير إلى الله في هدايته له إلى الطريق المستقيم، لا يستقيم له دين ولا دنيا ولا آخرة إلا بتوفيق الله ومنِّه.

تترك الدعاء وفقرك إلى الله من كل وجه !!!

يقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: {يا عبادي كلكم ضال إلا من هديتُه فاسْتهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمتُه فاسْتطعموني أُطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه فاسْتكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم} ثم يقول الله سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي: {يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخِل البحر}. رواه مسلم.

فيأيها العبد الفقير المحتاج: لا تترك الدعاء؛ فليس لك غنىً عنه.

• **ولْتحذر أشد الحذر ولْتخشى أن يغضب الله عليك:**

فمن ترك الدعاء غضب الله عليه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: {من لم يسأل الله يغضب عليه}رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

ومن غضب الله عليه خسر أعظم الخسران.

ويا سبحان الله !! ما أعظم هذا الحديث العجيب:

فبقدر ما فيه من الترهيب الشديد لمن ترك الدعاء، فإنه يدل دلالة واضحة على فضل الدعاء ومكانته عند الله، وحب الله له، ويدل أيضاً على عظم رحمة الله وكرمه؛ فرضا الله في سؤاله.

ولقد صدق القائل حين قال:

واللهُ يغضبُ إن تركت سؤاله * وبنيَّ آدمُ حين يُسأل يغضبُ**

ابن آدم يغضب حينما يُسأل، وإذا كثر عليه السؤال كثر الغضب عنده، أما الرب الرحيم فإنه مع حاجة العبد لسؤاله يغضب حين يترك العبد سؤاله، فسبحان الله أرحم الراحمين .

• **واعلم أنك بتركك للدعاء صرت أعجز الناس!!**

قال النبي صلى الله عليه: {أعجز الناس من عجز عن الدعاء}. رواه عبدالغني المقدسي كتاب الدعاء. وحسنه الألباني في سلسلته

وقوله: {من عجز} أي عجز عن الطلب من الله؛ حيث سمع قول ربه: {**ادْعُونِي**} فلم يدعه مع حاجته وفاقته وعدم المشقة عليه فيه والله سبحانه وتعالى لا يخيِّب من سأله واعتمد عليه، فمن ترك طلب حاجاته من الله تعالى- مع ذلك- فهو أعجز العاجزين.

وكما أن للدعاء شروطاً فإن له آداباً:

◈ فمن آداب الدعاء: استقبال القبلة.

◈ ومنه: رفع اليدين؛ للحديث: {إن ربكم حَيِيٌّ كريم؛ يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً خائبتين}.

◈ **وإن من أهم آداب الدعاء**- بعد إفتقارك وخشوعك إلى الله- أن تقدم بين يدي دعائك الحمد لله والثناء عليه وتمجيده.

ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك تسأل.

• **وفي سورة الفاتحة بيانٌ للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه الداعي**

ففي سورة الفاتحة يرشدنا الله تبارك وتعالى أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم في قول الله تعالى: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**}.

لكنه جل سبحانه قبل أن يرشدنا إلى سؤاله الهداية دلَّنا على الأدب الذي ينبغي أن نكون عليه في سؤالنا لربنا، فافتتح سبحانه السورة بالحمد، ثم بالثناء عليه ثم بتمجيده، ثم بعد ذلك أتى بالدعاء، قال صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: {قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، **ولعبدي ما سأل**؛ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال العبد: الرحمن الرحيم: قال الله:

أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال العبد: مالك يوم الدين، قال الله: مجّدني عبدي} حمدني، أثنى علي، مجدني، كل هذا الحمد والثناء والتمجيد يأتي بين يدي الدعاء، فقولك {**الْحَمْدُ للهِ**}: حمدٌ لله، {**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}: ثناءٌ على الله، وتوسع في الثناء على الله، وتوسل إلى الله بإسمين من أسمائه {**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**}: تمجيد لله، فأنت في ثناء ومبالغة في حمد الله وتعظيمه بين يدي دعائك، وتعترف بالعبودية له: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} فهذه كلها وسائل بين يدي دعائك، فأنت تتوسل إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وتتوسل بعبوديتك له، وذُلّك بين يديه، وافتقارك التام إليه، ثم يأتي بعد ذلك الدعاء: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**}.

وفي هذا بيانٌ لمقام الدعاء، وبيانٌ للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه الداعي.

فيبدأ الداعي دعائه بحمد الله على النعم العظيمة التي لا نحصي لها عدا {**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**} وإن أعظم النعم التي يُحمد الله عليها هي نعمة الهداية إلى الإسلام {**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ**} فتحمد ربك على نعمة الإسلام، تحمده على نعمة الأمن، تحمده على نعمة الستر، تحمده على نعمة البصر والسمع.... {**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**} ثم تصلي على النبي ﷺ كما تصلي عليه في صلاتك، ثم تدعو واثقاً من الإجابة.

• وينبغي للداعي أن يحرص على الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنها خير الدعاء وأجمعه وأنفعه:

منها: قوله صلى الله عليه وسلم: {سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أَبُوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار **موقناً بها** فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل **وهو موقن بها** فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة} رواه البخاري.

وهنا نلاحظ نبينا صلى الله عليه وسلم يعلمنا أدب الدعاء:

فإنه يرشدنا ﷺ أن نبدأ في دعائنا بالتوسل بربوبية الله لنا، وأنه المربي بالنعم، وأنه وحده الخالق، وهذا ثناء على الله.

ثم التوسل إلى الله بتعبُّدنا له في قوله: {وأنا عبدك} واعترافنا بنعم الله علينا، واعترافنا بذنوبنا في قوله: {أبوء} أي أعترف.

ثم بعد ذلك نسأل ربنا المغفرة؛ {فاغفر لي}.

• ومن الأحاديث التي تعلمنا أدب الدعاء قوله صلى الله عليه وسلم: {اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ كل شيء ومَليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه} رواه أبو داود.

فقد بدأ صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء بتمجيد الله وتعظيمه بأنه هو خالق السماوات والأرض، وأنه عالم السر والعلانية، وأنه مالك كل شيء، فلما توسل إلى الله بذلك سأل ربه الاستعاذة من شر النفس وشر الشيطان وشركه.

• ومن الأدب العظيم في الدعاء أن تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته:

كأن تقول: "اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تغفر لي" مثلاً.

ومن توسله صلى الله عليه وسلم بأسماء الله وصفاته قوله: {ما أصاب أحدا – قط- هَمٌ ولا حَزَن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أَمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله – عز وجل- همه وأبدله مكان حزنه فرحا}. رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة.

• ومن الأدب أن تدعو بالإسم المناسب لمطلوبك:

كأن تدعو ربك بقولك: يا رحيم ارحمني، فإنك قد سألت ربك الرحمة متوسلاً إليه بإسمه: "الرحيم" المناسب لطلبك، أو تقول: يا كريم أكرمني، أو يا تواب تب علي، أو يا لطيف ألطف بي.

ولا تقول يا متكبر ارحمني، أو يا شديد العقاب أكرمني؛ فإن هذا لا يناسب طلبك.

• أو أن تدعو متوسلاً إلى ربك بصفة من صفاته:

كأن تقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني؛ فإنك قد سألت ربك أن يرحمك متوسلاً إليه برحمته، والرحمة من صفات الله –عز وجل- أو تقول: اللهم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تكرمني بالجنة؛ فقد سألت الله أن يكرمك بالجنة متوسلاً بصفة الإكرام، والإكرام من صفات الله عز وجل.

• فكل اسم من أسماء الله دال على صفة من صفاته:

فإسم الله الرحيم يدل على صفة الرحمة، فنصف الله بالرحمة واسم الله الكريم دال على صفة الكرم، فنصف الله بالكرم والإكرام واسم الله العزيز دال على صفة العزة، فنصف الله بالعزة ... الخ.

فالتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته هو أدب النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه:

● فمن دعائه صلى الله عليه وسلم:{اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفو عني} ففي هذا الدعاء سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه العفو، ولكنه قبل سؤاله العفو توسل إلى ربه بإسم مناسب لطلبه بقوله:{اللهم إنك عفو} و"العفو" اسم من أسماء الله، كما أنه توسل إلى الله بصفة مناسبة لطلبه؛ في قوله:{تحب العفو} فمن صفات ربنا أنه يحب العفو.

● ومن دعائه صلى الله عليه وسلم:{رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم} وهنا سؤال من النبي صلى الله وعليه وسلم المغفرة والتواب، متوسلاً إلى الله بإسمين من أسمائه –عز وجل– هما: "التواب، الرحيم" مناسبين لطلبه.

● دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا هو برجل يقول: اللهم إني أسألك يا ألله الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال ﷺ {قد غُفر له، قد غُفر له} ثلاثاً. رواه أبو داود. وصححه الألباني.

● ومن دعائه صلى الله عليه وسلم:{يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث؛ أصلح لي شأني كله، ولا تكِلْني إلى نفسي طَرفة عين} وفي هذا الحديث توسلٌ إلى الله بإسمين من أسمائه هما:"الحي، القيوم " وفيه التوسل بصفة الرحمة في قوله:{برحمتك أستغيث}.

● وعن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: "بسم الله" ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أَجِدُ وأُحَاذِر}. قال: ففعلت فأذهب الله ما كان بي . رواه مسلم.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم:{قل بسم الله} توسلٌ إلى الله واستعانة، وفي قوله:{أعوذ بعزة الله وقدرته} التوسل إلى الله بصفتين من صفاته؛ هما:" العزة، والقدرة".

فاحرص على هذه الآداب في دعائك فإنه عليك أن تتحرَّاها.

وماذا عن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ؟!!

سئل الإمام العثيمين – رحمه الله– عن حكم التوسل بجاه النبي ﷺ

فأجاب: " أوجهكم أن تَدَعوا التوسل بجاه النبي ﷺ لأن ذلك من البدع؛ ولأن جاه النبي ﷺ لا ينفعك، والله إنما يُتوسل إليه بما يكون سبباً لحصول المقصود، وجاه النبي ﷺ لا يفيد الداعي، ونحن لا نشك أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأنَّ له جاهٌ عظيم عند الله –عز وجل– ولكن جاهه عند الله إنما ينتفع به هو ﷺ أما نحن فلا ننتفع بذلك" ."وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته وما أيسر الأمر على الداعي إذا قال: اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك كذا وكذا، بدلاً من أن يقول أسألك بجاه نبيك". ا.هـ.

قال تعالى:{رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} فهنا توسلٌ بالإيمان وبإتباعنا للرسول صلى الله عليه وسلم، فلماذا نترك التوسل المشروع إلى توسل ليس في الكتاب ولا في السنة!!

فإذا كان التوسل بجاه النبي ﷺ محرم فكيف بالتوسل بجاه الأولياء!

وكما أن للدعاء آداباً فإن له أوقاتاً وأحوالاً للإجابة :

◊ **فمن الأوقات المستجابة: الثلث الأخير من الليل:**

لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يقول حين يبقى ثلث الليل الآخر:{من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له} رواه مسلم.

◊ **ومنها الدعاء بين الأذان والإقامة:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد} رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

◊ **ومنها عند نزول المطر:** للحديث:{اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول المطر} حسنه الألباني.

◊ **ومنها دعاء المسافر:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ثلاثُ دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده} رواه ابن ماجة، وحسنه الألباني.

◊ **ومن أوقات الإجابة آخر ساعة من عصر يوم الجمعة:**

قال رسول الله ﷺ {يوم الجمعة ثنتا عشرة [ساعة] لا يوجد مسلم يسأل الله –عز وجل– شيئا إلا آتاه الله –عز وجل– فالْتمسوها آخر ساعة بعد العصر}. رواه أبو داود، وصححه الألباني.

أما الأحوال التي ترجى فيها الإجابة :

◊ **منها حال المضطر:** لقوله تعالى:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ}.

◊ **ومن ذلك إذا كان مظلوماً:** فإن المظلوم مستجاب الدعوة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل:{واتَّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب} رواه البخاري ومسلم.

◊ **ومن الأحوال التي ترجى فيها الإجابة السجود في الصلاة:**

قال صلى الله عليه وسلم:{أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء} أخرجه مسلم.

المراجع: **" نور على الدرب" "شرح الأربعين النووية" الإمام: محمد العثيمين**
" فقه الدعاء"."تفسير سورة الفاتحة" الشيخ: عبد الرزاق العبَّاد